مشكلة الأداء في اللغة العربية
أسباب الضعف ووسائل العلاج

الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

سيدي رئيس المجمع، سيداتي وسادتي، السلام عليكم وأحمد الله إليكم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

كثر الحديث عن ضعف اللغة وانصراف أبنائها عنها في شتى أقطارهم مع شدة اللهج بالقومية العربية وبضرورة التعريب كل ذلك في نوع من ازدواجية نفسية اجتماعية سياسية تربوية عويصة المعاني والمقاصد مضطربة أشدّ الاضطراب بين طرفي الغموض والوضوح.

سأعمد في كلمتي هذه إلى حديث موجز عن دعوة إقامة معهد أو معاهد لتدريس اللغة العربية يكون الأرب منها إعداد معلمين لها في الجامعات، يأخذون طلبتهم بدرسها درساً يجمع بين معرفة القواعد النحوية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وضروب الأدب والبيان ويتخرجون على أيديهم ناطقين بلسان عربيّ مبين وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر وبه التوفيق وعليه فليتوكّل المتوكّلون.

أول أسباب الضعف في أداء العربية أن مدرسها ضعيف في الغالب، مخسوس الحظ من الجاه والرتبة. ومن أسباب ضعفه ونقصان حظه أن كثرة المدارس العصرية اقتضت كثرة المدرسين في المرحلة الأساسية وذلك يتبعه أن تكون مرتّباتهم ضعيفة وحظهم من الجاه ضعيفاً. وقدماً كان الإقبال على درس العربية وعلومها وعلوم الدين عظيماً لأن ذلك كان سبيل التّفوق في المجتمع وقد خلف ذلك الإقبال القديم إقبال عصريّ جديد على الطب والهندسة والتقنيات الحديثة، فأقبل طالبو التفوق على هذه الأبواب من الدرس والتمهيد المهني وانصرفوا عن فقه العربية. وملأ الفراغ الذي تركوه أصناف من الطلاب أكثرهم ضعاف الذكاء والتحصيل. وهؤلاء عُهِدَ إلى عدد كبير منهم بتعليم العربية وتخريج أبناء قوميتها الجديدة.

ثاني أسباب ضعف العربية ما شنّه عليها حكام بلاد العربية والإسلام الأجانب المستعمرون من حرب صادرة عن كراهية للإسلام وعن كراهية للغة القرآن وعن تعصب للغاتهم وعنصريتهم ودعوى تفوق مطلق يخفى معها طلب الصواب والاعتراف به.

والمغلوب في بعض ما بينه ابن خلدون مولع بتقليد الغالب وهذا الضعف وجد الآن دعاة له باسم التجديد والحداثة في اللغة العربية وقد أرى بين المحاور المقدّمة للبحث في هذه الندوة السديدة إن شاء الله. أن المحور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثالث في تيسير مباحث العربية: الإملاء والنحو والصرف والبلاغة. وأحسب أن الغرض هو تعليم مباحث العربية من إملاء وخط ونحو وصرف، لا مجرد تيسيرها، على أن التعليم لابد فيه من طرق تعمد إلى تيسير معاسره. ولكن العسر لا يزول حقاً إلا بدأب الطالب وجِدّه مع جودة عمل الأستاذ وحسن تأنيه أما أن يكون القصد من تيسير إهمال الضروري والعمد إلى جعل كل صعب هيناً بنوع من تمرد تربوي، مرتب على احتقار أمهات مسائل اللغة نحواً وصرفاً وإملاءً وخطاً فهذا مالا ينبغي أن يكون.

لابد في العمل إلى إعادة اللغة العربية إلى بعض ما كان لها من مكانة في حفظ الثقافة والعزة القومية والمعارف الإسلامية من جد حق في أمر تعليم اللغة العربية تعليماً صحيحاً ييسر بغرض التفهيم لا بغرض تجاوز العزائم إلى الرّخص والرخص إلى اللحن واللحن إلى العجمة وشبه العجمة. ولا يكون التعريب الحق باستخدام ألفاظ أعجمية وجمل أعجمية ونصوص أعجمية حروفها وبعض نطقها وتركيبها كأنه عربي، إنما يكون التعريب الحق بأداء عربيّ الروح عربيّ الأسلوب مبين.

علينا أن نهتم بترجمة أمهات كتب العلوم الحديثة وأن نحرص على أن يكون ذلك بلسان عربي فصيح مبين. وأن يقع تبادل في المترجمات والمعربات بين المجامع العربية وأن يشارك الإعلام المرئي والمسموع في ذلك بجد ونشاط.

وعلينا أن نحيي أمهات كتب العلوم والثقافة العربية بجعل فصول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نختارها منها ونشرحها بتحقيق وتدقيق ليكون فهمها ميسوراً للطالب الثانوي والجامعي والفتى والفتاة الواعدين في مختلف مراحل التعليم. كتاب مقدمة ابن خلدون مثلاً فيه فصول قيمة في علوم ومعارف مختلفة ولكن في لغته على القارئ الشاب المعاصر بعض العسر، هذا العسر يزول من طريق الاختيار الحسن والتعليق المفيد والشرح الوافي. ومثل ذلك قد يقال في تهافت الفلاسفة للغزالي وسيرة ابن هشام وصحيح مسلم وحاوي الرّازي الطبيب وموسيقى الفارابي وكثير من رسائل ابن سينا وابن رشد وبعض ما كتب ابن فارس والمعرّي وابن سيده وهلم جرا ...

وعلينا أن نقيم معاهد لتدريب مدرس العربية في السلك العالي ثالثاً أو رابعاً في الجامعات بحسب مناهجها المختلفات. وذلك بأن نختار خريجين وخريجات ممن اجتازوا مرحلة الإجازة بدرجات حسنة عالية وندرب هؤلاء مدة ثلاثة أعوام يتخصصّون فيها في العربية نحواً وصرفاً وإملاءً وبياناً ولغة مع درس واف لنصوص محققة مشروحة وافية، ويعد في أثناء هذه السنوات الثلاث إعداداً مناسباً للتدريس.

وهؤلاء المدرسون يبثون في الأقسام العالية بدءاً بجامعة واحدة، ويكونون في نفس الوقت ممهّدين مهيئين لجعل التعريب لغة الجامعة العربية الحديثة في المحاضرات المبرمجة وفي ما سوى ذلك من وجوه المعرفة. ومشاركة الإعلام بأجهزته القوية أمرٌ لازم في هذا الباب.

هذا الفوج الأول من مدرسي العربية يمهد لجعل المعهد في المستقبل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

متخصصاً في باب إعداد مدرسي العربية لا السلك العالي ثالثاً أو رابعاً فقط ولكن لمرحلة الأساس أيضاً خصوصاً في جانب المرحلة الثانوية.

ويا حبذا لو ألغي المعمول به الآن من قسمة المدرسة الثانوية إلى اتجاهين علمي وأدبي، فيتّجه جل الأذكياء إلى العلوم وينصرف من دونهم إلى الأدب ويعود الأمر إلى الخطأ الذي بدأنا بالفرار منه.

كان ينبغي أن أقف قليلاً عند مرحلة البدء، ولكن ذلك قد يحدث من جرائه في هذه الكلمة طول بالغ، إذ مرحلة التعليم الابتدائي أمر خطير، وقعت فيه أخطاء لابد من تصحيحها إن كنا نريد أن تكون اللغة العربية الفصيحة هي حقّاً لغة الوطن العربي الأولى.

أول هذه الأخطاء أن أكثر بلاد العربية تبدأ تعليم صغارها العربية الفصيحة في سن السابعة إن بكرّت بذلك، وقد يتأخر البدء إلى ما بعد السابعة.

وقد كانت كتاتيب القرآن يبدأ فيها عندما يكون الصغير بين الرابعة والخامسة، وعندما كان يرسل إلى «الخلوة» (أي كتاب القرآن) حين يستطيع أن يتلمس أذنه اليسرى بيده اليمنى من فوق رأسه، وذلك يكون غالباً في أواخر الرابعة أو قبل ذلك أو بعده بقليل. ويكون من حينئذ أول عهده بالعربية الفصيحة من طريق حروف العربية وقصار المفصّل والفاتحة على اللوح، وهذا بعد باب واسع.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا يخفى أن الدافع الديني كان قويّاً. ولكن في عصرنا هذا ضعف الدافع الديني، ولم يخلفه دافع قويّ قوّته، بل ربما اعترضت دوافع هدامة من شرها فقدان الثقة بالعربية والفتنة بمستحدثات معادية لفصاحتها والاعتزاز بها والعياذ بالله من ذلك.

أكتفي بهذا القدر، وأسأل الله لهذا القطر العظيم، ولرئيسه الزعيم الجليل والقائد الرشيد الظفرَ المستمر والنصر الخافق الرايات. وأنتهز هذه الفرصة لأُثني الثناء الحسن على السيدة الفضلى وزيرة التعليم العالي وراعية الندوة الدكتورة صالحة سنقر، ولأُعبر عن مزيد من الشكر للسيد العلاّمة رئيس المجمع الدكتور شاكر الفحام ونائبه الدكتور إحسان النص على هذه الدعوة الكريمة وهذه الندوة ذات الشأو البعيد في مجال الثقافة والفكر وتقوية الروابط روابط الود وعهد التعاون بين رجال العروبة العاملين على النهضة بها وجزى الله سائر المشاركين والمساهمين في هذه الندوة ما هم أهله من خير الجزاء وأسأل الله التوفيق وله الحمد أولاً وأخيراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ـ والسلام عليكم.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net